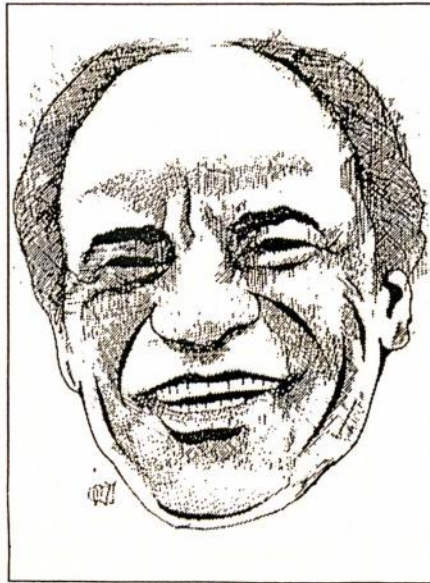


الإنحطاط والتفكك أرضية خصبة لنمو اللاعقلاني الديني والسحري

حوار: الصالح بوايد

العفيف الأخضر مفكر اعترز الأحزاب والتيارات والمنتديات، ولكنه لم يعزل عن شؤون وشجون العالم من حوله. ومساحة تفكيره في المستجدات - على السطح كما في القاع العميق - ظلت محتفظة بتلك الحرارة الجدلية والتغطية النقدية التي أطلت متسلحاً بها وبسواها منذ مطلع الستينات. «بريد الجنوب» حاورته حول الدين والدنيا في المجتمعات العربية والإسلامية، وعلاقة «انحطاط» الرأسمالية المعاصرة بصعود الخطابات الأصولية. ووقفت على رأيه المتميز في الحدأة والعلمانية والمواطنة.



العفيف الأخضر

في القرن السادس قبل الميلاد ومن بينها أسطورة الطوفان قد نسفت اتفاق الإيمان مع التاريخ وان اكتشاف داروين لنظرية التطور قد أتاح باتفاق الدين مع العلم، فلجانوا للتأويل قائلين بأن الوحي لا ينبغي أن يفهم إلا كفه بشري لمقاصد الله وليس كوحى لا ينطق عن الهوى. تقريباً كما حاول أن يفعل أبو زيد اليوم، لكن البابا الأصولي بي العاشر تصدى لهم وكفهمهم وطردهم سنة ١٩٠٨ من حظيرة الأمة المسيحية كمرتدين وأهمهم لوزي LOISY الذي انتهى ملحداً. بي العاشر كان ردة للواء بالنسبة لسلفه الذي أقر بأن العلم لا الدين هو المرجع بخصوص تكون الكون والحياة على الأرض. بالمناسبة أين شيخ الأزهر الحالي الأصولي من سلفيه المتنورين محمود شلتوت الذي رفض حد الردة لعدم النص عليه في القرآن، والمرافغي الذي تحال على شيخ الأزهر لإدخال تدريس الفيزياء التي رفضها لأن اسمها «علم الطبيعة» وحي لهم بالإلحاد، فأخترع لها اسماً جديداً «علم الخصائص التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الأشياء» فهذأت ثأرتهم وقبلوا بها بعد تمويه إسمها!

لكن السؤال الذي يبقى يبحث عن جواب هو كيف نرى اليوم بعد الانتصار النهائي على المفاهيم الأسطورية للكون والحياة وبعد أن أصبحت حقائق تدرس في المدارس فضلاً عن الجامعات لم تعد نعثر على مثل شلتوت والمرافغي ولا نرى على امتداد ساحة العالم الإسلامي الا متعصبين يتكبرون البحث العلمي؟

لأن تفكك المجتمعات التقليدية الإسلامية وانتقال نمط الإنتاج الرأسمالي من الانحطاط الى التفكك بلغ درجة متقدمة. الانحطاط والتفكك أرضية خصبة لنمو اللاعقلاني الديني والسحري. في لحظات الانهيار الحضاري المربع ينطوي الناس على أنفسهم، تشتد حاجتهم للبحث عن الألب الإجماعي الحامي، أي عن الديكتاتوريات الكريسمائية ويجد المهوسوسون والمهلوسون والموسوسون أذان الجموع الصاغية. ابن تيمية ظهر في حقبة بلغ فيها انحطاط المجتمعات الإسلامية وتفككها درجة متقدمة جعلتها تنصرف عن التفكير الي التفكير. لذلك كفر الأشاعرة والمتسوفة والشيعية والمعتزلة الذين قال فيهم مالك ابن انس «هم من الكفر فروا»، والأصولية الحالية التي تتخذ منه مع الموردني وقطب مرجاً أعلى هي ريشة التعصب الخفيلي، لأن الحقيقتين متشابهتان مع وجود الأوراق طبياً: صدمة الحرب الصليبية ثم صدمة الاستعمار الجارحان والقاسم المشترك بينهما هو الانحطاط الحضاري والانغلاق الفكري اللذان سادا فيهما.

يقول الصادق النيهوم في كتابه «إسلام ضد الإسلام» في فصل «الفقه في خدمة التوراة» أن الفقهاء المسلمين سابقاً والإسلاميين اليوم لا يطبقون القرآن الذي لا أثر فيه لحد الردة، بل يطبقون التوراة، وبالتحديد نص الأصحاح السابع عشر من سفر التثنية الذي يقول على لسان الرب: «إذا وجد رجل أو امرأة يفعل الشر في عين الرب ويذهب ويعبد إلهة أخرى فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة وأرجمه بالحجارة حتى الموت». بينما يقول القرآن «ومن شاء فيلزم من ومن شاء فليكفر». فلماذا يطبق فقهاؤنا بالأمس وأصاويلنا اليوم التوراة ضداً على القرآن؟

يقول محمد عبده في «تفسير المنار» الذي نادى فيه بمنع تعدد الزوجات تفسيراً لهذه الآية: «من شاء ان يدخل فيه فليدخل ومن شاء ان يخرج منه فليخرج» لكن عبده ويده شلتوت يزعمان ان تطبيق الفقهاء لحد الردة كان ترفلاً للخلفاء الذين اعتبروا نقض بيعتهم ردة مستوجب الحد. وهو ظن مردود بواقع ان كثيراً من الفقهاء قاوموا طغيان الخلفاء، فمالك بن انس وأحمد بن حنبل وهما من القائلين بحد الردة عارضاً الخلفاء. الأول عارض السفاح في فرض طلاق المكره على البيعة. والثاني عارض المأمون في محنة خلق القرآن، بشجاعة انتحارية. كما لا اعتقد ان الفقهاء أو الأصوليين يطبقون التوراة ضداً على القرآن، حباً فيها وكراهية فيه. لقائل ان يقول لماذا اذن هذا التثنية بحد الردة حتى على مشارف القرن الواحد والعشرين في الوقت الذي دحضت فيه العلوم الحديثة أسس العقائد الأسطورية والدينية؟ الفرضية التي أقدمها لتفسير ذلك تتلخص في ان:

إريك فروم نرجسية القبيلة، وتسميه الانتروبولوجيا: الأثنى المركزية: نحن شعب الله المختار ونحن خير أمة أخرجت للناس.. الخ. أضف الى ذلك ان الدين والعلم مختلفان جوهرياً: الدين يقوم على حقيقة مطلقة وعابرة للتاريخ أي صالحة لكل زمان ومكان، والعلم يقوم على الحقيقة التاريخية أي على اليقين في أشياء والاحتمال في أشياء ومجرد الافتراض في أشياء أخرى. طريقة الدين الى حقيقته هي الوحي الذي لا ينطق عن الهوى وطريقة العلم إلى المعرفة التاريخية أي النسبية بماهيتها هي الشك والافتراض والتجريب. «يستفز» العلم الدين أيضاً لأنه كعلم لا يستطيع ان يعترف بحدود منه خارج منهجه المعرفي الخاص: العقلاني في الرياضيات والعقلاني والتجريبي في العلوم الطبيعية والإنسانية، إلا اذا قبل ان يحكم على نفسه بالعقم.

لكن رغم «استفزاز» العلم للدين ورجاله في العالم فإن العلماء لا يوجهون منه الاضطهاد والأطوار حتى عشر ما يواجه الباحثون والمفكرين في عالمنا العربي والإسلامي. فلماذا تصالحت الكنيسة مع العلم ولم تصالحت معه الإسلام؟

القول بأن الكنيسة تصالحت مع العلم فيه نظر. لأنها في الحقيقة فرمت امام العلم ولم تتصالح معه طائفة، أي اندحرت أمام الحدأة التي غلبت نهائياً العقل على النقل، والعلم على الأسطورة، والمجتمع العصري على المجمع التقليدي، أي الصناعة على الزراعة وهو تطور وأهم من صلصال كالغفار.. الخ كما يقول سفر التكوين، اعترف البابا آخر الأمر: «ان كل ما يتعلق بخلق عندما خلق الله العالم وأدم من صلصال كالغفار.. الخ كما يقول سفر التكوين، اعترف البابا آخر الأمر: «ان كل ما يتعلق بخلق العالم يجب منذ اليوم الاعتماد فيه على العلم، لا على الدين. لكن خلف البابا بي Pic العاشر شنن حرباً صليبية شبيهة بحرب الأصوليين الاسلاميين علينا اليوم ضد مجموعة الكهنة الصادئين Modernistes الذين عاينوا تقدم علم تاريخ الأديان المقلن مع اكتشاف جورج سميت سنة ١٨٧٢ للكراخ البابلية (ملحة جلجامش) التي ترجبها أحبار اليهود خلال السبي البابلي

الأسئلة تتراحم، لكن السؤال الذي شغل وما زال يشغل إلى اليوم وسائل الاعلام العربية والعلمية هو قضية الردة عموماً وبخصوصاً الحكم العجيب الغربي بالتفريق بين د. حامد نصر أبو زيد وزوجته د. ابتهاج وينس مما اضطرها في النهاية الى الهجرة إلى أوروبا. هذا الحكم الذي أصدرته محكمة استئناف القاهرة، الحق أضراساً جسيمة بسبعة المسلمين والاسلام. هل يصح القول بأن الصراع بين البحث العلمي والدين في الإسلام المعاصر لا يدل إلا بأحكام الردة لإرهاب العلماء أو باغتيالهم كما هو الحال في مصر والجزائر؟ ألا توجد إمكانية للتعايش؟

التعايش بين الدين والعلم أمنية جميلة لكنها جميع الأمانى ما إليها سيبل. لماذا؟ أولاً الوقائع التاريخية - التي ينبغي أن يسألها الباحث لكي لا يسقط في الافتراضات الهاذية - تخبرنا ان الدين ممثلاً بالمؤسسة الكنسية رفع عصاه على العلم الحديث منذ ظهوره في القرن السابع عشر: فقد أحرق حياً الطبيب الإيطالي فانيني لأنه استشف بعيقريته الرائدة تطور الإنسان عن أصل قرداً بل وحتى منذ إرهاباته الأولى في القرن الخامس عشر فقد أعدمت محاكم التفتيش الفيلسوف الإيطالي برونو لأنه خطأ كوسمولوجيا أرسطو وأسطورة الخلق التوراتية. واليوم نبشت الأصولية الإسلامية الحاكمة والمجاهدة من أجل الحكم عن سيف محاكم التفتيش المسيحية لتطارد به المبدعين والباحثين والمتقنين في العالمين العربي والاسلامي، بل وفي العالم كله لأن سلمان رشدي بريطاني ومع ذلك افتت الجمهورية الإسلامية الإيرانية بسفك دمه وما زالت ترصد جائزة بوليوني دولار + المصاريق لمن ينفذ فتاها من الإسلاميين أو من محترفي ألمانيا!

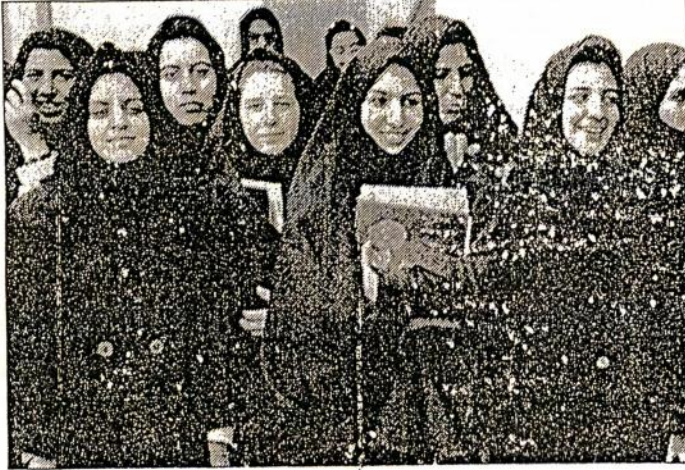
سلمان رشدي استفنز مشاعر المسلمين مجاناً طلباً للشهرة والمال ولو لم يفعل ذلك لما سمع به أحد. فلماذا وضعت عينه ضحايا محاكم التفتيش الأصولية الإسلامية؟

ما تقوله عن سلمان رشدي فيه شيء من الصحة. لكن الحكم بإعدامه هجمي من أي الزوايا نظرتنا إليه خاصة وأنه قدم ذريعة على طبق من ذهب للإستراتيجيين الغربيين الباحثين عن «خطر جديد» بعد أن اتضح ان خطر الامبريالية السوفيتية لم يعد مقلعاً للرأي العام لتبرير استمرار اقتصاد الحرب الذي هو ركيزة الاقتصاد الدول في الرأسمالية المنحطة.

إذا كان سلمان رشدي استفنز المشاعر فإن نجيب محفوظ في «أولاد حارتنا» لم يستفززها وكذلك أبو زيد ببحوثه الاعتزالية المتواضعة. جاليلو لم ينس بيت شفة ضد أسطورة سفر التكوين القائلة بأن الأرض مركز الكون.. الخ لكن الأصولية المسيحية أخذت بتلابيبه ولم ترد الكنيسة له التقدير، وعلى استحياء، إلا في آخر سنة ١٩٧٩ داروين هو أيضاً لم يقل كلمة واحدة ضد أسطورة الخلق. انطلاقاً من «الزوجين الأولين» آدم وحواء كما يقول سفر التكوين بل انه في آخر كتابه «عن أصل الأنواع» قدم تنازلاً شكياً للكنيسة عندما تحدث عن إمكانية ان يكون «الخالق» قد وهب الحياة في البدء لعدد صغير من الأشكال (البكتيريا) أو حتى لشكل واحد. عندما اصدر داروين سنة ١٨٤٧ كتابه الثاني «أصل الإنسان والانتخاب في علاقة بالجنس» القائل بأن الإنسان والقرد ينحدران من جد مشترك قال احد رجال الدين بعد قراءته للكتاب لزوجة مطران اوربيشتر (بريطانيا): يبدو فعلا ان النوع الإنساني منحد من القرد فكان ردها: «منحد من قردا لتأمل بأن لا يكون ذلك صحيحاً، وإذا كان صحيحاً فلتفضل له لكي لا يفشو ذلك بين الناس». في رد فعلها يختلط الضلال بالتضليل والجهل بالجهيل، وهي حالة موجودة لدى الأصوليين والمتعصبين. ما يهمهم في المقام الأول ليس الحقيقة الموضوعية ولو كانت مرة بل الوهم اللذيذ، والظلامية المعنى الذي استعمله فلاسفة الأنوار: محاربة العقل وإخفاء الحقيقة على العامة لتجهيلها واستتباعها كالسوائم. ويقطع النظر عن الطبيعة التنفسية العنصارية الوسواسية للمتعصبين دينياً أو سياسياً وعن مصالحهم الإجماعية التي تملئ عليهم تضليل وتجهيل الجماهير وتدفعهم بالتالي لمحاربة العلم المستفزز لهم نفسياً واجتماعياً، فإن العلم بطبيعته «مستفزز» للؤسسة الدينية واتباعها لأنه يطيح بهم اذنب بالنسبة لما أسماه

«الاعتراف بحق الانسان في الردة يعني حكما الاقرار بالحق في الاختلاف وبالتالي الاعتراف بحق الفرد في التمايز عن نرجسية القبيلة»

«من إنجازات ايران الأصولية رجم ٢٠٠ امرأة سنويا بشهادة منظمة العفو الدولية، ايسس بينهم رجل واحد لأن زناء الرجال اسمه نكاح المتعة المسموح به»



رفسنجاني مما جعل صحافة العالم تتحدث عن «ثورة جنسية» في إيران الإسلامية!

اول مونتقواتين العمل صدرت في إيران الخمينية ألفت الحد الأدنى للاجور في الدولة الشاهنشاهية تاركة تقدير الأجر لـ «حرية المتعاقدين» كما ألفت قانون «العهد البائد» الذي يحرم تشغيل الأطفال دون الحادية عشرة وحددت تشغيل الأطفال ابتداء من سن الخامسة، ويأمر من الخميني كانت الألفام التي زرعتها الجيش العراقي تنفجر في

منطق المجتمع التقليدي الإسلامي هو الذي دفع الفقهاء بالأمس والأصوليين اليوم الى نسخ آيات القرآن المحكمات التي تبيح الردة اعتماداً على حديثي أحاد: «من بدل دينه فاقتلوه» ولا يحل دم امرئ مسلم الا في ثلاث: كفر بعد إيمان...» الاعتراف بحق الإنسان في الردة يعني حكماً الاقرار بالحق في الاختلاف وبالتالي الاعتراف بحق الفرد في التمايز عن نرجسية القبيلة، والاستقلال عن الأثنية - المركزية اي الهوية، وهذا يعني نهاية الهوية التي هي بماهيتها سيطرة الجمعي على الفردي والاجماع على الحق في الاختلاف لأن المجتمعات التقليدية لا تُعرف ولا تُعرف إلا بالعضو الذي يقول اما: سمعنا وأطعنا لأنها مجتمعات الهوية، اي تعميظ الوعي الذي يجسب ان يكون متمثالاً عند الجميع واشاعة روح القطيع، فلا يحق للعضو القبيلة او الأمة - للطائفة إلا أن يتمتم به «نحن» بصفته امتداداً عضوياً لها مثلما اليد امتداد للجسم، وواجبه الامتثال لتقاليد الآباء والأجداد وعبادة نصوصهم اي تراثهم ووظيفته هي إعادة إنتاجها. لأن الفرد الذي يقول «أنا» - «هنا» - «هنا» رأسه وفرجه لم يولد إلا مع السدنة، التي لم تتغلغل حتى الآن في البنى الاجتماعية والذهنية في العالمين العربي والإسلامي لذلك شكلا تربة خصبة للإجماع: الرأي الواحد والحزب الواحد والنسرية التقليدية والدينيسية التي لا تحتمل المعارضة او الاعتراض اللذين سرعان ما يؤمضان بالخيانة او بالردة. في مجالس الهندوس الحمر التي تسير المجتمع يظل الجاس مجتمعاً بدون انقضاء حتى تقدم الألفية تنازلات للألفية لكي تتخذ القرارات بالإجماع، لأن الهوية الهندية الحمراء يجب ان تظل متماسكة كالبيان المرصوص. امتلاك الأثنية يعني تقليد العقل على النقل والتجديد على التقليد بينما المجتمعات التقليدية تقوم على الاستمرارية لا على القطيعة التي هي إحدى أبرز سمات الحداثة، فكما كانت القبائل العربية في الجاهلية تخلع أعضائها الذين أرادوا ان يكونوا أفراداً مستقلين عنها يفكرون برؤوسهم لا برأسها الجمعي، وخلعهم كان يعني استباحة دمائهم، كذلك استمر الفقهاء رغم «القرآن» يعبرزون المرتد عن دينه شيئاً يستباح به، فحين تم يحترق الإسلام الجذائي استمرارية تقاليد الجاهلية رد الفقهاء الاعتبار إليها رغم أن ذلك حاول عضو القبيلة ان يكون فرداً مبدعاً لا قراداً مقلداً يجتر أساطير القبيلة بين نصف مخضعة عقابته بفصل رأسه - رمز استقلاله اي رده - عن جسده، أي خلعت عنها. في حد الرجم حتى الموت «ابق الفقهاء الثورة رغم انف القرآن الذي لا وجود فيه لهذا الحد لأن الآية التي شرعته نسخت منه وأقصيت من المصحف لكن الفقهاء قالوا قولاً مذهباً: انها نسخت تلاوة وبقيت حكماً! لأن المجتمع التقليدي يعتبر المرأة ملكاً للعائلة التقليدية فإذا ما حاولت الاستقلال عنها بامتلاك فرجها عوقبت عن ذلك بالرجم حتى الموت وهو من أشد أنواع الموت فظاعاً: فامتلاك الفرع يعني امتلاك الفرد لجسده أي نفي وصاية القبيلة - الهوية عليه.

تصف المادتان ١١٧ و ١١٩ من القانون الجزائي للجمهورية الإسلامية الإيرانية مطلق رجم الزانية ببرودة دم فصامية وبنق سادية لا مزيد عليها: المادة ١١٧: «تدفن المرأة أثناء الرجم في حفرة حتى صدرها ثم ترجم» المادة ١١٩: «لا يجوز ان يكون حجم الحجر في عملية الرجم كبيراً بحيث يقتل الشخص الذي أصابه بحجر واحد او حجرين، كما لا يجوز ان يكون صغيراً بحيث لا تنطبق عليه كلمة حجر» لذلك دام رجم اول امرأة دشن بها الخميني تطبيق الشريعة السماعه في إيران بضع ساءات مما جعل ميشال فوكو الذي تحمس للخميني يكتشف حبه ساقته ويعود إلى رشده. ومن إنجازات إيران الأصولية في هذا المجال رجم ٢٠٠ امرأة سنوياً بشهادة منظمة العفو الدولية ايسس بينهم رجل واحد لأن زناء الرجال اسمه نكاح المتعة المسموح به في إيران بل الذي خفف قيوده وحرض عليه

ضاع في الرّب خاتمه لأنه المفتاح لفهم كثير من ألغاز مجتمعاتنا. ومع ذلك فالبليلة تسود فيه كما لم تسد في اي موضوع آخر. لأن المفاهيم المركزية للحداثة غير مفهومة من الوعي الثقافي العربي الأكاديمي او غيره الى درجة اختلط فيها الحابل بالنابل والحقيقة بنصف الحقيقة وعكس الحقيقة. هذا الشاعر يقول لقد دخلنا الحداثة الشعرية وذلك بفضل ذلك يتحدث عن حداثه روائية وأخر عن حداثه في اللباس.. الخ ورابع عن حداثه غير غربية كما لو كانت توجد ٢٦ حداثه بإمكان وعينا المؤنث بالأساطير ان يختار منها تلك التي تناسبه ولا تزعم في شيء عوائقه المعرفية التقليدية المتشربة بعمق. إذن ما الحداثة التي لم تدخل الى العالمين العربي والإسلامي الا بعض مساحيقها التي لا تسمع ولا تغني من جوع؟ هي نمط الانتاج الرأسمالي الذي يتوارى عبر مسار تاريخي معقد على امتداد حوالي خمسة قرون ويقبضه الذي سيخرج من رحم: نمط الحياة الاشتراكي ولا شيء غير ذلك.

باختصار مُخْلِجُ مرات الحداثة بخمس محطات كبرى، النهضة في القرن الخامس عشر التي سالت لأول مرة تحالف التقاليد الأرسطوطاليسية والدينية، والإصلاح الديني في القرن السادس عشر الذي هو المؤسسة الكاثوليكية هراً وفتح الطريق لظهور الفرد المستقل، والثورة العلمية في القرن السابع عشر التي احدثت أول قطيعة ثقافية نوعية مع أساطير وتاملات الماضي التي كانت تسمى علماً، والثورة العقلانية (فلسفة الأنوار) في القرن الثامن عشر التي غلبت نهائياً العقل على النقل، والثورة الفرنسية في نهاية هذا القرن التي أطاحت بالمؤسسة الإقطاعية وفتحت عصر الثورات الرأسمالية في أوروبا وأخيراً المحطة الخامسة والحاسمة في نظري: الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، لماذا كانت حاسمة؟ لأنها اجهزت على نمط الانتاج التقليدي وعلى الطبقات الاجتماعية التقليدية في المدن والريف وأقامت على أنقاضها طبقتين جديدتين كل الجدة في تاريخ البشرية: البرجوازية والبروليتاريا الصناعيتين اللتين تحالفتا ضد بقايا تقاليد المجتمع القديم وحراسها: الكنيسة والبرجوازية العقارية. وعلى كاملها قامت أهم مؤسسات وقيم الحداثة خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: الدولة النيابية على أنقاض الدولة الاستبدادية، الاقتراع العام على أنقاض اقتراع داغمي الضرائب، الجمعيات والأحزاب وحرية التفكير والتعبير وبالتالي الصحافة الحديثة، والعلمانية اي فصل الدين عن الدولة، وأخيراً التعليم العام الإجباري والعلماني.

مئات الأطفال الذين يمشون عليها لتفجيرها وكل زاهم جواز سفر الى الجنة وقته الإمام ولم تتوقف هذه المذبحة إلا بفضل احتجاج منظمات حقوق الإنسان في العالم، وعندئذ أمر الولي الفقيه باستخدام قطعان الحمير لتفجير الألفام بدلا من الأطفال! هذه الأسفة وهي غيض من فيض شاهد دامغ على أن الأصولية الإسلامية عودت الى أكثر تقاليد المجتمعات الهمجية القديمة دموية. فرجم الزانية تقليد بابلي اقتبسه اليهود خلال السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وقطع اليد عقوبة فرعونية أخذها عنهم العبرانيون والردة على افضل مكاسب الحضارة الحديثة، فالحد الأدنى للاجور وحق الإضراب وإنشاء الجمعيات والأحزاب المحظورة في إيران الأصولية مكاسب أرغم الصراع الطبقي في الغرب الرأسمالية المتوحشة على الاعتراف لهم بها، وهي اليوم تحت ضغوط أزمتها الدائمة تحاول الانتفاخ عليها.

□ هذه العودة الى تقاليد الماضي الهمجية ورفض كل سعي لتطويرها لمسيرة الزمن، ما سببها؟

■ في المجتمعات الزراعية المنظمة على إيقاع الفصول، التقاليد المرعية والأدوار الاجتماعية ثابتة بثبوت الرواسي، فللرجل دوره وللمرأة دورها وللطفل دوره وللعيد دوره وللسيد دوره.. الخ كل تبادل للأدوار اي كل تجديد يدخل على تقاليد الأسلاف يعاش من الشخصية المسكونة بالعصاب الوسواسي كفوضى، كانتهناك لحرمان لا يرقى إليها الهمس وكخطر دامغ على «النظام»! لماذا هذه المحافظة التي ترفض بعنف كل تطوير وتجديد؟ أساساً لأن القوى المنتجة في المجتمعات التقليدية راكدة أو تكاد، لا تتطور إلا ببطء اسطوري عكساً للمجتمعات الرأسمالية الصناعية التي لا تكاد قروها المنتجة تدخل في ثورة إلا لتخرج منها إلى ثورة اكبر. لذلك تتغير تقاليدها وقوانينها وقيمه بسرعة قياسية لأن كل شيء فيها يتغير إلا قانون التغيير كما يقول ماركس:

□ تتلوق في تحليلك للأصولية الإسلامية من فشل العالم العربي والإسلامي في دخول الحداثة التي نجحت اليابان في القرن التاسع عشر في دخولها. لكن التحليل بما في ذلك الأكاديمي كالألوهجات الجامعية تناقض فرضيتك لأنها تثبت بوثائق ووثائق واحصاءات محددة ان المجتمعات العربية والإسلامية دخلت الى الحداثة بدخول الاستعمار إليها، ماركس نفسه أشاد بنتجزات الاستعمار البريطاني في الهند المتعملة في إدخال الجيش العمصري والبيروقراطية العمصرية ونمط الانتاج الرأسمالي، اليست هذه هي الحداثة؟

■ موضوع الحداثة متشعب جداً يجب ان نقف به وقوف شحيح

العلمانية والديمقراطية، والعلمانية والمواطنة، كوجه الورقة وقفها

العفيف الأخضر مفكر اعتزل الاحزاب والتيارات والمنتديات، ولكنه لم ينزل عن شؤون وشجون العالم من حوله. ومساحة تفكيره في المستجدات - على السطح كما في القاع العميق - ظلت محتفظة بتلك الحرارة الجدلية واليقظة النقدية التي أطلت متسلحاً بها وبسواها منذ مطلع الستينات.

«بريد الجنوب» حاورته حول الدين والدنيا في المجتمعات العربية والاسلامية، وعلاقة «انحطاط» الرأسمالية المعاصرة بصعود الخطابات الاصولية، ووقفت على رأيه المتميز في الحداثة والعلمانية والمواطنة. هنا حلقة ثانية وأخيرة.

حوار: الصالح بوليد



● العفيف الأخضر

□ البعض يعتبر ان العلمانية ليست شرطاً ضرورياً لنحول الحداثة والديمقراطية ويحتج بكون الملكة في بريطانيا تحمل لقب «حامية الكنيسة»، ومع ذلك من يشكك في ان بريطانيا العظمى دولة عريفة في الحداثة والديمقراطية؟

■ في بريطانيا المؤسسة الملكية فولكلورية تملك ولا تحكم ولقبها كحامية للكنيسة اشد فولكلورية منها. وهو يعود الى ملابس تاريخية معروفة في القرن السادس عشر: فعندما رفض البابا تطليق هنري الثامن لزوجته كاترين دارجون للترزوج من عشيقته رد عليه الملك بمصادرة املاك الكنيسة الانكليزية وقتل رجالها وإعلان نفسه «حامي الكنيسة» الانكليكانية اي رئيساً مباشراً للكنيسة المنشقة على المسيحية الرومانية، فطرده البابا كمرتد من حظيرة الامة النصرانية سنة ١٥٥٤ ثم توالى بعده الالجز مرة لروما ومرة عليها لكن اللقب الهبوطي ظل قائماً. ومهما يكن من أمر فالدولة البريطانية علمانية من أم رأسها الى اخمص قدمها. إذ بإمكانك ان تقول في الكنيسة الانكليكانية «الرسمية» وفي المسيحية والمسيح ما قال مالك في الخمر دون ان تخافك بالردة أو بأية عقوبة كانت لأن الدين منفصل عملياً عن الدولة التي ليست منحازة لأي دين من ديانات مواطنيها. فاليهودي والمسيحي والبوذي والهندوسي والمسلم والمحدد كلهم مواطنون متساوون أمام القانون في دولة «حامية الكنيسة» العلمانية في الوحدة التي تحترم جميع الديانات والمعتقدات، ماداً لأنها لا تعترف بدين معين لذلك فهي تعترف بجميع الأديان والنحل والفلسفات على قدم المساواة، ولا تشق على قلوب مواطنيها لتعرف ما إذا كانوا مؤمنين أم زنادقة وما إذا كانوا من هذا الدين أو ذاك أو من هذه الطائفة أو تلك. لأنها دولة - أمة - دولة قومية لا طائفية. مثلاً في إيران الدولة طائفية لأن الدستور ينص على ان إيران «جمهورية إسلامية شيعية»، ومعنى هذا ان الأقليات الدينية والطائفية الأخرى مستبعدة من المواطنة: مثل الـ ١٥ مليون سني إيراني لا يحق لهم الترشح لرئاسة الجمهورية ولا الطموح لأي منصب مدني أو عسكري آخر. ماذا أقول؟ بل لا يحق لهم ان يتزوجوا من شيعية كما لا يحق للشيعي ان يتزوج من سنية «لأنها ليست من أهل الكتاب» في وثيقة حسب فتوى الخميني. ويحدث أحياناً - على قول المعارضة السننية في إيران - ان يرفض موظف تسجيل اسم سني لمولود مثل أبو بكر، عمر، عثمان، طلحة، عائشة.. الخ لأن هذه الأسماء محرمة شيعياً. وضع الأقليات الدينية بما فيها الشيعية في الدول السننية لا يقل سوءاً عن وضع الأقلية السننية أو البهائية في إيران!

□ خلاصة القول انك تعتبر ان العلمانية ضرورية للحداثة السياسية، وان كل إشارة لانتساءم الدولة الديني أو الطائفي يجعلها بعيدة عن الحداثة والديمقراطية؟

■ هذا معلوم من الحداثة بالضرورة العلمانية والديمقراطية، والعلمانية والمواطنة كوجه الورقة وقفها. الدولة العلمانية الديمقراطية تستمد شرعيتها من الشارع اي من صناديق الاقتراع، والدولة الدينية تستمد شرعيتها من تطبيق الشريعة اي من هويتها الطائفية. والجمع بين الشرعيتين هو كالمجمع بين الماء والنار في يد! خلافاً للدولة القبلية أو الدولة - الهوية اللتين تقومان على الانحياز العرقي أو الديني، تقوم الدولة - الأمة العلمانية بالضرورة على المواطنة التي تتعالى على جميع الانتماءات الخصوصية العرقية أو الطائفية لمواطنيها كشرط وجوب للتعايش بينهم بعيداً عن التمييز عنصرياً كان أو دينياً الذي يهدم المواطنة هداماً ويجعل البلد مفتوحاً في كل لحظة على الحرب الطائفية كما في إيران والسودان وأفغانستان اليوم وفي مصر والجزائر إذا ما دخلنا النفق الاصولي المظلم غداً. المواطنة العلمانية - ولا وجود لمواطنة غير علمانية - هي القاسم المشترك لتساكني الدولة الحديثة التي تقرب صفحاً عن الانتماء الى الهوية التي تتجاوزها في القومية ويدين ذلك لا

سبيل لتحقيق الاندماج القومي لشعب متعدد الهويات طبعاً إذ لا يكاد يوجد شعب صافي الهوية. وباختصار فبدون تبني العالم الاسلامي للعلمانية التي يخشاها الاصوليون خشية الموت ستظل الحرب الطائفية فيه دائماً تحت الرماد مما قد يحوله الى أفغانستان كبرى ويضعه على طريق تفكك لا رجعة فيه!

■ ليس جارحاً ومذلاً حتى الموت ان نظل اسرى الذهنيات الزراعية التي عفى عليها الزمن في العالم غير الإسلامي وان يبقى الاموات يحكموننا من وراء قبورهم؟ فعلى الفنان أو الباحث أو العالم في أرض الإسلام قبل ان يكتب حرفاً - ولا أقول قبل ان يرسم أو ينحت أو يعزف فهذا حرام - ان يقرأ بانتباه فتاوى ابن تيمية ان كان سنياً أو محرماً الأئمة الاثني عشر ان كان شيعياً وإلا هو على سيف الردة المعلق فوق رأسه! الفرق بين المجتمع غير الحديث والحديث يمكن ان تلخصه الاستعارة التالية: المجتمع التقليدي يشبه العصايب الذي شله عصايبه ذهنياً فظل عبداً سمياً مطيعاً للاشعوره الجمعي الذي يعج بالكواكب والمحرمات يملئ عليه وعيه وسلوكه غير المطابقين لحقائق ومتطلبات عصره وهو يتمم قلماً: سمعنا وأطعنا. اما المجتمع الحديث فهو كمن تحرر من شله العصايب اي من استرقاق لا وعيه الجمعي له فلم يعد يقرر له رغم انف عصره اشكال مؤسساته وإبداعاته النظرية والعلمية لأنه لم يعد قاصراً يحتاج الى وصي طوطمي بل اصبح راشداً ومستقلاً عن كل وصاية ابوية وبالتالي قادراً على التكيف مع مستجدات عصره دون عقد أو مشاعر ذنب عصايبية اي التي لا مبرر لها عملياً. المجتمع الحديث لا يرمي تراثه في مناة التاريخ كما يدعي الاصوليون بل يعرفه ويعترف به اي يقيم معه علاقة جديدة تختلف عن علاقة السيد بالعبد حيث الأول يملئ نصه والثاني يقول: سمعنا وطاعة! بل تقوم على المعرفة النقدية لمكونات هذا الماضي والعوامل التاريخية لا الاسطورية التي جعلته على تلك الصورة لا على غيرها. المجتمعات الحديثة لا تهتم بتاريخها الخاص وحسب بل ويتاريخ الحياة على الأرض. فعلوم كالهندسة والرياضة والبايوتكنولوجيا (علم الكائنات الحية التي وجدت خلال العصور الجيولوجية)، والبايولوجيا (علم دراسة الاجساد والاعضاء المتحجرة) محرمة في جل المجتمعات التقليدية الاسلامية لكنها تتمتع بكل تشجيع في المجتمعات الحديثة التي غدت بفضلها تعرف قصة الحياة على الارض التي بدأت في المحيطات منذ اكثر من أربع مليارات سنة على صورة باكتيريات وحيدة الخلية ثم متعددة الخلايا ثم لا فقارية ثم فقارية ثم نباتية ثم حيوانية برية واخيراً قردية وإنسانية.. الخ.

□ في إحدى مقالاتك ذكرت ان الملكة السعودية تحت ضغط رجال الدين أغلقت معهد الهندسة الوراثية فيها سنة ١٩٨٩، فبأي مبرر؟

■ المبرر سخيف: «لا يحق للمخلوق ان يتدخل في شؤون الخلق والمخلوق» على زعم الشيخ عبد العزيز بن باز كبير علماء المملكة! ٩٠٪ على الأقل من علوم الحداثة واقعة في مرمى سيف الردة لأنها تناقض «صحيح المنقول» كما يقول ابن تيمية المرجع الاسمي في السعودية. والنقل ما زال في العالم الاسلامي محتكماً في العقل وعلومه التجريبية في عصر الانفورماتيك والتليماطيك! في تونس تم تحديث دروس التربية الدينية التي كانت تخرج اجيالاً عصايبية يهملها مصيرها بعد الموت لا في الحياة، ببرنامج حديث نسبياً «في الفكر الاسلامي» وفقر صدره سنة ١٩٩٠ كتره «النهضة» الاصولية وكانت ما زالت شبه معترف بها بحجة انه «يجفف المناهج» الاصولية، وطالب بعزل وزير التربية اذ ذاك محمد الشرفي! وما زال راشد الغنوشي يطالب في كل مناسبة بـ «مراجعة الاختيارات التربوية» لإلغاء هذا البرنامج المستتير الذي هو مجموعة نصوص لمفكرين وكتاب مسلمين وحتى اسلاميين مثل القاضي عبد الجبار، ابن رشد، جمال الدين الافغاني، ومحمد عبده،

رشيد رضا، محمد إقبال، الطاهر بن عاشور، قاسم امين، حسن حنفي، عبد الله العروي، برهان غليون، محمد عابد الجابري، وعبد الكريم غلاب، مالك بن نبي، محمد عمارة.. الخ. لكن من يقرأ تكفير الغنوشي له يتوهم ان نصوصه مقطوعة ببروتوكولات حكما صهيون! تفسير ذلك هو عداء الشعبوية الاسلامية - المعبرة عن اكثر شرائح المجتمع التقليدي تأخراً وانغلاقاً على نرجسية القبيلة - لكل تجديد، لكل انفتاح على العقلانية. فهذا الرهاب الهستيري - وكل رهاب هستيري بالضرورة - من تحديث التعليم وتجديد المناهج التربوية، لتتجاوب مع المعايير العالمية وخاصة مع تعطش النشء الفطري للبحث، للمعلومات والمعرفة وتنوع ثقافته، ستكون نتاجه في البلدان التي حكمها أو قد يحكمها الاسلاميون ان يفوت قطار المستقبل أجيالاً بكاملها تنفلق على عصرها كما هو الحال في إيران حيث يدرس الطلبة في كليات الطب غسل الميت بدل من الهندسة الوراثية والبيولوجيا الجزيئية وغيرهما من علوم القرن الواحد والعشرين وذلك بسبب «اسلمة التعليم» التي دامت أربع سنوات ظلت خلالها المدارس والجامعات مغلقة ليعود الملالي ببرامج التعليم الى ليل العصور الوسطى!

لا يسعنا نحن العقلانيين على امتداد العالمين العربي والإسلامي امام هجمة هذا اللاعقلاني المنفلق من عقاله إلا أن نساهم في توعية أكثر الناس عدداً بضرورة تحديث وترشيد المناهج التربوية المغيرة السائدة الآن في العالم العربي والاسلامي. لماذا؟ لأن تحديث المجتمع لا يتم بقرار امبراطوري بل هو مسار موضوعي، التدخل الارادي فيه قليل الجدوى وتصنيع المجتمعات الزراعية اليوم لم يعد مطروحاً على جدول اعمال التاريخ. أما التحديث النسبي للذهنيات بالتعليم فأمر ممكن لأنه المجال الوحيد الذي يمكن للإرادة فيه ان تكون فعالة. والدليل على ذلك الإصلاحات العميقة لمناهج التعليم في تونس اليوم حيث أصبحت جميع البرامج منذ الابتدائي الى العالي حديثة وعقلانية لا تختلف عن مثيلاتها في دول العالم غير الإسلامي بما في ذلك الزيتونة حيث بدأ طلبتها - وهي جامعة دينية - يدرسون ابتداء من هذه السنة سوسيوولوجيا الأديان وتاريخ الأديان المقارن. فكتاب فراس السواح: «مغامرات العقل الأولى، دراسة في الاسطورة» بات يدرس فيها في السنوات الأربع. فعندما يدرس فيه الطالب الديني قصة خلق الكون في الأساطير البابلية وانتقالها للديانات التوحيدية عبر استلهام اليهود في القرن السادس قبل الميلاد لأساطير بلاد الرافدين وخاصة ملحمة جلجامش وأسطورة الطوفان أو خلق آدم في الأساطير السومرية (٤٠ قرناً قبل الميلاد) أو الجنة والنار.. الخ.



● التربية الدينية: تعلم التفكير أم التفكير؟

التي يُسَرِّبُ بها عمال فرنسا اليوم إضرابهم وغداً سلطتهم. الدول الأصولية اليوم من أفغانستان إلى إيران مروراً بالسودان نموذج مُنقَر لا للمسلمين الآخرين بل في الداخل أيضاً. معظم الأفغان يترحمون على أيام الاستعمار الروسي. أما إيران فقد جعلت شبابها يفر من المخدر الأصولي الذي فقد مفعوله إلى المخدرات: مليون يتعاطون المخدرات في طهران وحدها. نسبة العاطلين عن العمل ثلاثة أضعاف ما كانت عليه في عهد الشاه، والذين يعيشون تحت حد الفقر تتراوح نسبتهم، حسب الإحصائيات بين ٦٥ و٨٠٪ من السكان ولم يكونوا عشية رحيل الشاه إلا ١٩٪ فقط!

أما الاستبداد السياسي فهو من طراز قروصطي: جميع الجمعيات والأحزاب والنقابات محلولة والإضراب العمالي جريمة ومعارضة الحكومة حسب فتوى علي خميني «كفر بالله». لكن الولي الفقيه والمرشد الروحي للثورة لم يجد حرجاً في إصدار فتوى تبيح اغتصاب مناضلات منظمة «مجاهدي خلق» عشية إعدامهن؛ وتعقل دوريات «فاطمة الزهراء» ١٢٠.٠٠٠ امرأة كل عام بتهمة «سوء ارتداء الحجاب»، ويحكم على العاملات منهن بغرامة تساوي مرتباتهن من شهر إلى ستة شهور! أما الفساد الذي اتخذ منه الأصوليون جواداً لمانزلة الحكومات الفاسدة التي يعارضونها فقد ضربت فيه الجمهورية الإسلامية مثلاً شرورياً: فقد أصدر الدكتور عزة الله الصحابي الاقتصادي وعضو سابق في مجلس الثورة كتبياً في إيران سنة ١٩٨٩، بين اعتماداً على وثائق المحاسبة الرسمية أن الحرب العراقية - الإيرانية لم تكلف ١٠٠ مليار دولار كما زعم الملاي بل ٢٠ مليار فقط وال ٧٠ ملياراً الباقية ذهبت إلى حساباتهم السرية في المصارف الأجنبية. لم يعقل الصحابي فور إصدار كراسه، لكنه سجن بعد ذلك بقليل لمدة ستة شهور عندما وقع على بيان يطالب بالحريات (لوموند دبلوماتيك، حزيران (يونيو) ١٩٩٥).

وباختصار فهذا علي محتشمي وزير داخلية خميني يصف الحكم الحالي في إيران بأنه نسخة طبق الأصل «من حكم الشاه»؛ ولكن راشد الفخوشي «براه واحة للديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي»! الأصولية الجزائرية ارتكبت من الجرائم ما نَفَّرَ منها - رغم فساد الحكم القديم الأسطوري - أوسع قطاعات الشباب الجزائري الذي ضلَّته في البداية: ١١٤ إماماً ذبحوا «ذبح النعاج» كما يقول محفوظ النحاح لأنهم يقيمون صلاة الجمعة التي لا يذبحون إلا مع قيام الدولة الإسلامية! ٤٠٠ امرأة قتلن ذبحاً أو رمياً بالرصاص إلى غاية شهر آذار (مارس) الماضي؛ وإن يكون حكمهم إذا استطاعوا أن يحكموا الجزائر يوماً إلا صورة مضخمة من ممارساتهم الحالية.

لقد شاء التاريخ أن تكون أفغانستان التي رقص لها الأصوليون طرباً هي النموذج الأخير للحكومة الأصولية وهو نموذج في منتهى التفتير والبشاعة وفضلاً عن ذلك غير قابل للحياة!

المروود الذي يشد بعضه بعضاً، الفقه يعكس حالة المؤسسات الدستورية والاجتماعية وهذه أبعد ما تكون عن الحداثة بقيت الفقه تقليدياً يُلَبِّغُ فيه النقل على العقل ويتحكم النص الميت والميت في الواقع الحي والمُعْيَش: فما زال للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث وشهادة امرأتين وعبدان ورجلين غير مسلمين تساوي شهادة رجل مسلم! والمسلم لا يُقْتَلُ في غير المسلم.. الخ لو كان هذا الفقه يطبق في فرنسا أو الهند مثلاً لرأينا أصوليين الذين يدافعون عنه بالظفر والنايل يرفعون عقيرتهم ضد أشبع الوان التمييز الجنسي والعنصري؛ كذلك - وكشاهد جرح على تخلفنا المريع عن عصرنا - ما زالت العقوبات البدنية المستوردة من متحف الرعب تطبق في الدول الأصولية ويُجاهد الأصوليون بالحديد والنار لتطبيقها في الباقي مثل جلد شارب كأس بيرة على قارعة الطريق وقطع يد السارق في ثلاثة دراهم ودي أعناق المبدعين والباحثين والمفكرين الأحرار بتهمة الزدة السمجية؛ وجهتهم الوحيدة على التشبث العصابي بل الذماني بها أنها جاءت في «صحيح المنقول» والمنقول عابر للتاريخ أي صالح لكل مكان وزمان رغم انف المكان والزمان؛ وهذا ما يلحظ اليوم في العالم كله أعظم الضرر بالإسلام نفسه. لكن مثل علل الفاسي العظيم الذي قال «إذا كان تطبيق الشريعة يضر بالشريعة فتطبيق الشريعة حرام» لا وجود له بين فقهاء الإسلام اليوم اللتفتين حول أنفسهم كعمامة تركية!

□ سؤال أخير: يقول الخبراء الأمريكيون أن الإسلاميين سيحكمون خلال العشر أو العشرين سنة القادمة معظم الدول العربية والإسلامية. فكيف تنظر أنت إلى مستقبل الحركات الأصولية؟

■ ربما كان «الخبراء» الأمريكيون يتمنون أكثر مما يتوقعون، لأن الأصوليين الذين جننهم في صراعمهم مع الامبريالية السوفيتية منذ عام ١٩٤٧ عندما ظهر مذهب ترومان «احتواء الشيوعية بالإسلام» يفكرون بتجنيدهم مرة أخرى في صراعمهم مع القطب الامبريالي الأوروبي بزعماءه المانيا الذي سينافس الولايات المتحدة على إعادة اقتسام السوق الولية المنكمشة والمواقع الاستراتيجية الضرورية للحرب العالمية الثالثة القادمة.

فيما يخصني، الشيوعية الإسلامية لا مستقبل لها في منظور تاريخي. قد يحدث أن تستولي على السلطة بانتخابات أو بحرب عصابات أو بانقلابات عسكرية لكنها لن تنتهي إلا إلى أفغانستان أخرى.. لماذا؟ القوى المنتجة لكل حقبة هي التي تقرر مجرى التاريخ. القوى المنتجة اليوم هي المعلوماتية والتليمايك ووسائل الاتصال هي أوتوسترادات المعلوماتية التي توحد العالم كل يوم أكثر. المجتمع المغلق الذي يريد الإسلاميون إقامته ينتمي للحضارة الزراعية التي ولَّى زمانها. الإنسانية اليوم ويصورة أكثر في العقد القادم ستعيش عصر الشفافية الكاملة والانفتاح المطلق للعالم بعضه على بعض. سيكون بإمكان أي مواطن عالمي أن يقاطع خطيباً سياسياً في أي بلد كان ليساتله أو يكذب بفضل الأوتوسترادات الاعلامية. الديمقراطية النيابية الحالية في الغرب ستصبح متجاوزة في الديمقراطية المباشرة

فإن ذلك يزرع في وعيه الغصْبُ بثور الفكر التاريخي ليساعده على ممارسة التفكير بدل ممارسة التكفير السائدة لدى خريجي المعاهد والكليات الدينية في العالمين العربي والإسلامي. علينا نحن العقلانيين أيضاً أن نحلل المخاطر القابضة المترتبة عن تدريس التربية الدينية في العالمين العربي والإسلامي لأنها توجه قاصمة الظهور للوعي بالمواطنة. فكل ابن طائفة يتربس له أنه ينتمي لطائفته لا لبلده وأقل من ذلك للقرية الكونية. وأن مواطنته من الطائفة الأخرى هو عدوه بالقوة لأنه ليس على الدين الحق! في مصر مثلاً دروس التربية الدينية الإسلامية والمسيحية منبر لإذكاء العداء الطائفي بين أبناء شعب واحد!

□ ماذا تقترح كبدل لدروس التربية الدينية؟

■ ليس علينا أن نخترع البارود فقد اخترعه الصينيون منذ قرون! علينا فقط أن نكون في التعليم على الأقل معاصرين لعصرنا وأن ندرس ما يدرسه أبناء الأمم الحديثة حيث عُوِّضت التربية الدينية في مدارس العهود البائدة بالتربية المدنية. لماذا لا ندرس تربية مماثلة تشتمل على حقوق الطفل وضرورة حماية البيئة التي يلحظ بها الدمار، خاصة في العالمين العربي والإسلامي، يوماً فيوماً ومعلومات أولية عن نظرية التطور وتاريخ الأديان؟ أليس فضيحة أن الفلسفة ما زالت محرمة على التلاميذ في أكثر من نصف دول الجامعة العربية؟ وباستثناء تونس وبدرجة أقل الجزائر والمغرب ليست برامج الفلسفة للتلامذة في باقي الدول العربية إلا علم الكلام وقد سمي فلسفة! في تونس تدرس الفلسفة للتلاميذ في السنتين النهائيتين من التعليم الثانوي - السادسة والسابعة - فلماذا لا يناضل المثقفون العقلانيون من أجل إرغام الدول العربية والإسلامية الأخرى على الاقتداء بالمثالي التونسي لتدريس الفلسفة لتلامذة السنتين النهائيتين لتعليمهم استخدام عقولهم والتفكير بأنفسهم في مجتمعات ما زالت فيها ديكتاتورية النقل على العقل مطلقة؟

□ كمختص في دراسة الظاهرة الأصولية لاحظت أن معظم المطلين لها في وسائل الإعلام العربية يحملونها كل المساوئ كما لو كان العالم العربي قبل تأسيس حسن البنا لجماعته سنة ١٩٢٨ ديمقراطياً وعلماً وعلماً وعقلانياً، ثم جاءت الحركات الإسلامية لتقوم بانقلاب ظلامي عليه وينسبون أن الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده لم يفكروا في تجديد الفقه الإسلامي لتكييفه مع حاجات الشعوب الإسلامية، فكيف تفسر ذلك؟

■ المصلحون المسلمون في القرن الماضي كانوا أسرى جاذبية مجتمعاتهم التقليدية التي تشدهم إلى التقليد لا إلى التجديد. أفضلهم حاول ترسيخ التقليد بالحداثة دون نجاح يذكر طبعاً. فالتقليد تقليد والحداثة حداثة وإن يجتمعا إلا ليلداً مسخاً: انتخابات برلمانية مزورة من جهة ومحاكم تحكم بالردة من الجهة الأخرى! الفقه الإسلامي ما زال يعاني من ويلات الحنبلية المتعصبة التي أغلقت أمام صدمة الحروب الصليبية باب الاجتهاد ظناً منها أن ضعف الأمة الذي أطعم الصليبيين فيها أت من الاختلاف وأن الرد على ذلك هو الإجماع؛ «البنبان